رسالة مفتوحة إلى أصحاب الفكر الاستراتيجي فلسطينيين وعرباً ومسلمين (2 من 2)

الفلسطينيون وهم يستعجلون الحل النهائي ويفرحون بشبه الدولة المكبلة يحررون العدو من استحقاقات الحل العادل

هناك حاجة لمقاومة مسلحة متحضرة تتلازم مع سياسة تفاوضية ذكية تجرد العدو من سلاحيه الرئيسيين: الحجة والقوة

أبو يعرب المرزوقي*

محدد حروب المطاولة الأول محدد بنيوي

ولنأت الآن إلى تحليل محددات المعادلة المتحكمة في الصراع. فمن المعلوم أن الأقوى ماديا في كل حرب يريدها حرب مناجزة للحسم السريع. لكن الأضعف ماديا يريدها حرب مطاولة لمنع الحسم السريع ولأنه أقوى روحيا بحكم تمثيله للحق. لذلك فالمنطق ينبغي أن يكون بصورة عامة منطق التدرج البطيء ولامتناهي الصغر في الفعل والتأثير. ومن المعلوم كذلك أن القانون النفسي الجمعي والفردي في حروب المناجزة قانون مضاعف فهو يجعل الآخذ لا يرضى بالقليل والمعطي لا يرضى بالكثير ويغلب تأثير الحاضر الغالب بحضوره الفعلي والمباشر على الماضي والمستقبل المغلوبين بحضورهما الإمكاني واللامباشر. فيكون الآخذ الذكي من يجعل المعطي يعطي الكثير بأقل ألم ممكن (بتدريج الأخذ وإطالة المدة وبالأعراض الوهمية) ويكون المعطي الذكي من يجعل الآخذ يقبل القليل بأقل ألم ممكن (بإطالة مدة الحرمان حصرا للعطاء في العرضيات والإنجازات الوهمية). ويبدو أن العدو قد أجاد هذه الفنيات عندما كان في وضع الآخذ وكذلك منذ أن صار في وضع المعطي: فهو طبق المرحلية في تحقيق إسرائيل الحالية بالأخذ المتدرج وهو يطبق المرحلية نفسها في تسليم الضفة بالإعطاء المتدرج.

وبدلا من تطبيق نفس السياسة ترانا نكتفي بقول «لا» برعونة تلامس رعونة الصبيان لكأن الحق وحده كاف لإقناع العالم به خاصة وأسباب تحقيقه منعدمة. وبدلا من أن نيسر الأمر عليه فندرج الاستعادة نريد كل شيء في الحين لكأننا ننكر أن ذلك مستحيل حتى لو وجد من كان مقتنعا به من بين الإسرائيليين ونجهل خصائص حرب المطاولة. وأعجب ما أعجب له هو أن الفلسطينيين يستعجلون الحل النهائي ويفرحون بشبه الدولة التي كبلهم بها العدو ليتناحروا على فضلات المعونة الدولية دون أن يعلموا أنهم بهذا المسخ يحررونه من أعباء الاحتلال ومن ثم فهم يلغون دوافع تعجيله بطلب الحل العادل. فخوفه الأساسي هو أن يؤول الاحتلال إلى عكس ما يرغب فيه: فاحتلال الضفة وغزة لو دام طويلا سيجعل حل الدولة الواحدة بقوميتين الحل الوحيد الممكن ومن ثم فهو سيلغي إسرائيل اليهودية من الجغرافيا العالمية في أقل من نصف قرن. لذلك فالحكمة تقتضي أن نفضل بقاء أعباء الاحتلال على المحتل وأن نواصل المقاومة والتفاوض من أجل تحقيق القسمة الأولى رغم ما تتسم به من ظلم أو تحقيق الدولة الواحدة ذات القوميتين متساويتي الحقوق.

وإذن فالمفروض أن يكون التدرج الطويل في السعي إلى الحل وبقاء الدمل داميا كلاهما لصالح الفلسطينيين. ذلك أن ما نطلبه من العدو دون أن يكون بوسعنا فرضه بالقوة ينبغي أن يقسم إلى أجزاء فييسر المتقدم منه التالي بمقتضى كونه لا يمكن أن يتحقق معا أبدا و إلا لما لجأنا لحرب المطاولة. فهب الفلسطينيين الآن أخذوا جزءا من الأرض دون أن يمضوا صلحا نهائيا ليبقوا القضايا العالقة وأهمها قضية القدس مطلب المقاومة وتحت التفاوض أفلا يكون وضع المقاوم المفاوض الفلسطيني عندئذ أفضل من وضعه الحالي وأفضل خاصة من وضع المحتل المفاوض الإسرائيلي خاصة عندما تترابط المصالح بين الشعبين فتصبح المقاومة (بكل طرق المقاومة وأهمها العصيان المدني) التي ينبغي ألا تتوقف إلا بعد الاتفاق النهائي أكثر إيلاما وأقرب إلى إقناع رأيي طرفي الصراع العامين المحليين والدوليين بوجوب الوصول إلى الحل العادل؟ وهب الفلسطينيين يقدمون على الاقتراح الموجب بدل الاقتصار على مجرد الردود السالبة علي مقترحات الغير، أفلا يكون ذلك أكثر فاعلية؟

وسأفترض ما قد يبدو كفرانا عند قصيري النظر سأفترض أن المقاوم المفاوض الفلسطيني، بدلا من اشتراط عودة كل اللاجئين مع علمه باستحالة ذلك في الوضع الراهن، يطالب بأمر نعلم جميعا أنه غير عادل لكنه ممكن لكونه أكثر إقناعا وجدوى دعائية فضلا عن فوائده البعيدة إذا تحقق (إذ هو سيعطي الفلسطينيين أمرا لم يحققه اليهود إلا بجهود دامت قرونا للانغراس في الغرب وتكوين جاليات مؤثرة) تحديد مسؤولية مشكلة اللاجئين كما حدثت فعلا وعدم التشبث بشكليات الحقوق الصورية التي فقدت معناها عدا دور الشعار في الصراع بين الفلسطينين. فهذه المسؤولية تتوزع على إسرائيل (التي احتلت الأرض وشردت أهلها بالعنف والإرهاب) وأوروبا (انكلترا التي وعدت اليهود بفلسطين وفرنسا التي أعطتهم الحصانة النووية وقبل ذلك ألمانيا التي اضطهدتهم) وأمريكا (التي تحمي عدوان إسرائيل وتساعدها على التوسع) والعرب والمسلمون (لوعودهم الكاذبة ولتقاعسهم عن حماية فلسطين) فطلبوا تقسيم عبء المشكلة عليهم جميعا بالتساوي مطالبة بإعطاء الفلسطينيين حق المواطنة الكامل بحسب النسب التالية (فهم تقريبا أربعة ملايين) ربعهم أي فلسطينيي الشتات يعودون إلى ما احتلته إسرائيل من أرض فلسطين وربعهم يعود إلى أوروبا وخاصة ألمانيا وانكلترا وفرنسا (ثلث مليون لكل واحدة) وربعهم إلى أمريكا والربع الأخير يقسم مناصفة بين البلاد العربية والبلاد الإسلامية (لفقرهم ولعدم امكان إقبال الفلسطينيين الممكن عليها). وأكتفي بمليون يعودون إلى إسرائيل لعلتين: واحدة من منطلق رغبة اللاجئين أنفسهم إذ أن الكثير منهم لا يريد العودة خاصة من استقرت به الحال في الغرب والثانية من منطلق الشكل التكتيكي والهدف الاستراتيجي للحل. فهذه النسبة تبدو معقولة عند العدو وحماته وهي كافية للغرض منها أعني تحقيق الأغلبية الفلسطينية في إسرائيل في المدى المنظور.

وهذا التوزيع ينبغي أن يكون بالخيار لا (بالفرض) مع معاملة القوميتين بالتساوي أمام حق العودة لأن الشرعية الدولية رغم ظلمها تقتضي على الأقل إعطاء نفس الحقوق للقوميتين في أرض فلسطين. لكن كيف يمكن للمقاوم المفاوض الفلسطيني أن يقدم على الاقتراح الفاعل إذا بقيت شعوبنا خاضعة إلى المزايدات الديماغوجية التي تتناهشها من كل صوب وحدب؟ وطبعا فهذا المقترح لا يعني تجاهل الحقوق الفلسطينية الثابتة ومن ثم فلا فائدة في التذكير بها أو الزعم بأن صاحب المقترح يتنكر لها. إنما هو يسعى إلى أفضل الشروط لتحقيقها بأقرب السبل رغم أن المقترح يبدو بانتهاج الطريق غير المباشرة في منطق الخدع الحربية وكأنه يتنكر لها: فالدجاجة وحدها تموت جوعا في صدامها مع الحواجز الحائلة دون الوصول إلى الغذاء أمامها بدلا من استعمال المخرج الخلفي المفتوح.

محدد حروب المطاولة الثاني محدد ظرفي

إن المنطق الذي يمكن أن يساعد المقاوم المفاوض الفلسطيني يحدده عاملان هما عين خاصية القوتين المتصارعتين في المسألة الفلسطينية بما هي جوهر الأزمة الكونية التي بؤرتها فلسطين بين القوميتين (العربية واليهودية) والعالم بين الحضارتين (العربية والإسلامية واليهودية المسيحية) وكلا العاملين مخمس الدرجات:

1ـ الرأي العام الفلسطيني الذي هو حصيلة عامة مخمسة الأبعاد لكونها مؤلفة من الرأي العام الفلسطيني في الداخل (الذي أصبح بحمد الله موجودا بفضل خطة التفاوض الأولى ثمرة للانتفاضة الأولى) والرأي العام الفلسطيني في الخارج (اللاجئين) ومن الرأي العام في محيطه العربي والرأي العام في محيطه الإسلامي (الذي صار موجودا بحمد الله بفضل الانتفاضة الحالية) في صلتها جميعا بالموقف من إسرائيل بوصفها مغتصب الأرض الذي وقع الاعتراف به في الواقع ولا يزال مرفوضا في الواجب.

2ـ الرأي العام الإسرائيلي الذي هو حصيلة مخمسة الأبعاد مؤلفة من الرأي العام اليهودي في الداخل (إسرائيل) والرأي العام اليهودي في الخارج (الشتات) والرأي العام في محيطه الأوروبي والرأي العام في محيطه الأمريكي في صلتها جميعا بالموقف من فلسطين بوصف شعبها المقاوم قد وقع الاعتراف به في الواجب ولا يزال مرفوضا في الواقع.

والمعلوم أن العلة في تعاكس طبيعة الاعتراف المتبادل بين إسرائيل وفلسطين من رأييهما العامين ومن رأيي محيطيهما العامين ليس بالأمر الاتفاقي، فلا يمكن للطرف الإسرائيلي ومن معه أن ينكروا الوجود الفلسطيني في الواجب من دون نكران الأساس الحديث لوجود إسرائيل: إذ يتعذر مواصلة استنكار المحرقة مع القيام بمثلها دون نفي شرعية عدم الاعتراف بالوجود الفلسطيني في الواقع على الأقل في مستوى المبدأ. لكن ذلك لن يتم إلا بتحقيق ثمرة هذا الاعتراف: التسليم بالشعب الفلسطيني في الواقع أعني حقه في الدولة وهو ما بدأ يتحقق منذ مديد.

كما أن الفلسطينيين ومن معهم لا يمكنهم أن ينفوا الوجود الإسرائيلي في الواقع من دون نكران الأساس الحديث لوجود فلسطين المقبل: إذ يتعذر مواصلة استنكار التهجير الفلسطيني مع السعي إلى القيام بمثله في المستقبل (طرد اليهود من فلسطين وخاصة من الأجيال المولودة في فلسطين) من دون نفي شرعية عدم الاعتراف بالوجود الإسرائيلي في الواجب على الأقل في مستوى المبدأ.

لكن هذين الاعترافين المتناظرين بالعكس لن تتحقق ثمرتهما إلا بتحقيق ثمرة هذا الاعتراف في الواقع وفي الواجب من الناحيتين: تسليم الطرف الفلسطيني ومن معه بالشعب الإسرائيلي في الواجب أعني حقه في التعايش مع الشعب الفلسطيني على نفس الأرض على الأقل في الخطاب الرسمي الذي يمكن أن يكون مسموعا في العالم وتسليم الطرف الإسرائيلي ومن معه بالشعب الفلسطيني في الواقع أعني وجوده مع الشعب الإسرائيلي والتساوي في الحقوق المدنية إلى أن تتحقق الدولة الواحدة ذات القومتين المتآخيتين. وبذلك يتبين أن الدولة الواحدة ذات القوميتين المتآخيتين في فلسطين آتية لا ريب فيها. فكلا الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي باتت مقومات هويته مناظرة لمقومات هوية الآخر رغم التزاحم الوجودي بينهما في التاريخ الفعلي (وجود أحدهما بات عنده مشروطا بنفي وجود الآخر) للتلازم الوجودي بينهما في الواجب الخلقي (كلاهما يعيش نفي الآخر في نفي ذاته من الآخر فيحاول فهم ضرورة التخلص من عقدة التنافي الوجودي في التاريخ الفعلي) ما يجعلهما ممثلي هذين الوجهين في شكل وجود برزخي ناتج عن العلاقة بين الحضارتين الغربية والإسلامية والغربية المسيحية العلاقة التي تتصف بصدام التنافي الوجودي في الواقع التاريخي وبحوار الوعي الخلقي بضرورة الوجود المتحرر من السلب المتبادل سعيا إلى تبادل الاعتراف والتكامل في الواجب: لكأن العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي ممثلين بالحضارة العربية الإسلامية وبالحضارة الغربية المسيحية قد تعينت في كيان جغرافي تاريخي ماثل للعيان هو فلسطين عامة والقدس خاصة منذ الحروب الصليبية إلى اليوم. تلك هي رمزية القدس التي نقصد والتي علينا أن نفهم محدداتها.

القدس هي الرمز الأمثل لهذه العلاقة المتناظرة. لذلك فالحل لن يتأتى إلا من فهم الرمز والعمل على جعله أداة توحيد بدل أن يبقى أداة حرب لا تتوقف منذ الحروب الصليبية. ذلك هو أساس الخطة التي نحاول صوغها والتي يمكن أن تجعل الفلسطينيين والإسرائيليين ينتصرون في حل معادلة العلاقة بينهما من المعادلة بين الشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي المسيحي حلاً في مدى ليس بالبعيد. فالصراع بينهما مباشرة وبين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي صراع دولي وكوني بالطبع وهو صراع ينبغي أن يتغير بمقتضى المعادلات المقبلة للمعمورة بمجرد أن يفهم الجميع ضرورة التحرر من معادلات الماضي، ناهيك عن أن الدولتين الإسرائيلية والفلسطينية ثمرة من ثمرات النظام الدولي الفائت في مستوى النصوص لم يتحقق منها إلا النصف في الواقع أعني الدولة الإسرائيلية وبقي النصف الثاني حبرا على ورق. لا بد إذن من تحقيق النصف الثاني وذلك هو ما ينبغي أن يبدأ به تحديد النظام الدولي الموالي للنظام الدولي الجديد استكمالا لتحقيق النصف الأول من قبل النظام الدولي السابق.

تلك هي أفضل طريقة للمساعدة على تحقيق هذه الغاية المرحلية وفي نفس الوقت المساعدة على استئناف المسلمين دورهم في التاريخ الكوني مما يحاولون توريطها فيه بوضع حكومة فلسطين الجديدة أمام خيارين أحلاهما مر بوضعها بين خليتين: إما التنكر لعلة وجودها أو ضمها إلى ما يسمونه بالإرهاب. فأفضل طريقة هي وضع القضية في شكلها القانوني الأصلي مهما كان ظالما لأن كل إصلاح ينطلق من الوضعية في شكلها القانوني ليحققها أولا ثم يعدلها لاحقا: لا بد من تحقيق الحل الشرعي الأول ومطالبة من حصل على النصف أن يسمح للطرف الثاني بالحصول على نصفه ثم يقع تبادل الاعتراف بين من أعطاهم القانون الدولي هذين النصفين وإعلان الاعتراف الدولي بالدولتين معا في الحدود التي ضبطها قرار التقسيم وإلغاء كل ما هو أمر واقع يعارض هذا.

ويمكن أن نقول إن جميع الكيانات القطرية في العالم أجمع العالم الحالي نتج شكلها الحالي عن حركة الاستعمار الحديث، ومن ثم فهي متضايفة مع القوى الاستعمارية لأنها تدين لها بالوجود: كل الدول الحديثة في العالم الثالث من الصنائع بمعنيي الكلمة أعني أنها مصنوعة وصنيعة لمستعمر الأمس ما لم تتحرك لتحقيق شروط قيامها المستقل فتصبح ذات كلمة مسموعة في تنظيم العالم على أسس أكثر عدالة. وبذلك نفهم الترابط الوثيق بين الظاهرتين الاستعمارية وخارطة العالم الحديث في كل المستويات: في الثقافة والاقتصاد بل و في طبيعة الوعي التاريخي والوجودي والفلسفي.

ولولا هذه العلاقة لتعذر أن نفهم الكثير من ظاهرات التاريخ الدولي الحديث. فكيف يمكن أن نفهم أن تكون الهند قد أصبحت لغتها الرسمية إنكليزية ونظامها ديموقراطيا من دون أثر الاستعمار الإنكليزي؟ وكيف يمكن أن نفهم الفكر الفرنسي من دون آثار المسألة الجزائرية وبالعكس من يمكن أن يفهم أحداث الجزائر حتى بعد الاستقلال بل خاصة بعده من دون الصلة بفرنسا. وكيف يمكن أن نقرأ الوعي الأمريكي من دون هزيمة أمريكا في فيتنام ماضيا وفي العراق مستقبلا؟ هوية فلسطين القطرية وهوية إسرائيل كلتاهما ظاهرة حديثة وكلتاهما نتجت عن الاستعمار الإنكليزي الذي استحوذ على بقايا الخلافة في بعض أجزاء الشام ولا يمكن تصور الواحدة منهما من دون الأخرى إلا إذا أردنا أن نواصل نكران الواقع، فتخلينا عن كل تدخل فاعل ومؤثر فيه تأثيراً يمكن أن يغيره بشرط البدء بالاعتراف به وفهم قوانينه. وطبعا فالقصد هو الوعي الوطني المحدود بالقطر الفلسطيني (ومثله الوعي الوطني التونسي أو الجزائري الخ.)... ولست أقصد الوجود المادي للشعب الفلسطيني فهو متقدم الوجود على إسرائيل وعلى الاستعمار البريطاني..

الخاتمة

مقاومة مسلحة متحضرة تتلازم مع سياسة تفاوضية ذكية تجرد العدو من سلاحيه الرئيسيين لكونها ترقى إلى مستوى الصراع الوجودي بأبعاده الميتافيزيقية: الحجة والقوة. وهذا لعمري من أيسر الأمور في حالتنا هذه لكون الصراع هنا بخلاف ما كان عليه بين المضطهدين من العالم الثالث والمستعمرين من العالم الغرب. ذلك أن إسرائيل حتى وإن كانت قيادتها الأولى غربية فإنها مع ذلك ـ ولو من باب التوظيف الاستعماري ـ تعاني من نفس الإشكالية التي نعاني منها: الحاجة إلى الوصل بين الأصل القديم ذي التعليل الوجودي المستمد من بعد الوجود الأخروي والوضع الراهن الساعي إلى التعليل الوجودي المستمد من بعده الدنيوي.

والفرق الوحيد بيننا هو أن شروط البعد الدنيوي تغلب على إسرائيل لكون البعد الأخروي يكاد يقتصر عندها على مجرد التوظيف العقدي: البعد الدنيوي هو الأمر المتحقق والغالب على وجودها الفعلي. أما عندنا فالأمر هو بالعكس تماما: البعد الدنيوي ليس إلا أماني لم يتحقق منها شيء والبعد الأخروي أعاده الجهل العام إلى مستوى خرافي بخلاف ما تدعو إليه الرسالة التي تجعل إرث الأرض بأسبابه الحقيقية جوهر تحقيق الأمانة الإنسانية. لذلك كان فعل إسرائيل مؤثرا بفرعيه القولي والعملي وكان فعل العرب غير مؤثر ببعديه القولي والعملي.

فالفعل الإسرائيلي يعتبر البعد الأخروي غير فاعل بحق إلا بمضمونه الدنيوي (أدوات الاستخلاف أو شروط إرث الأرض). والفعل العربي يخلو من حقيقة البعدين لذلك فهو لا يزال غير مؤثر ونحن نريد له التأثير: ولست أدري من الرسول الكريم عندما وصف أهل الكتاب بكونهم أهل الذكر الذين يمكن أن نتعلم منهم إذا كان هذا التعلم محققا لمصالحنا ومساعدا على تحريرنا وتحريرهم من التحريف الذي غلب عليهم فجعل فسادهم في الأرض يطغي عليهم وعلى العالم. وما لم نتخلص من القول والفعل العاطلين فإننا سنبقي من أنصاف الشعراء: نقول مالا نفعل ونهيم في كل حانة ونعرض العاملين بالمزايدات والمبالغات تأسيا بقول نقادنا في الشعر وقياسا عليه فنعتبر أجمل الفعل أكذبه.

* مفكر تونسي واستاذ بكلية العلوم الانسانية بجامعة تونس الاولى

تعليق على مقال «اعلام العمل القومي العربي: الشهيد فؤاد الركابي»:

حازم جواد رتب مراسيم التشييع والدفن وتنظيم مجلس العزاء والحمالون حملوا النعش الى مقام الإمام علي

غانم نوري المتولي*

■ نشرت جريدة «القدس العربي» يومي الرابع والخامس من نيسان (ابريل) 2006 مقالة مطولة عن المرحوم الشهيد فؤاد الركابي بقلم السيد هارون محمد الاعلامي العراقي المعروف.

لقد ساقتني الاقدار عشية مصرع القائد الشهيد لاكون شاهدا على جثمانه المسجى في دار اهله ببغداد الجديدة جنوب بغداد وسأتناول بالتفصيل ما حدث تلك الليلة وليس قصدي من ذلك الاضافة او الطعن والتنفيذ لما ذكره هارون محمد في مقالته جزاه الله خيرا عليها، وانما لاذكر ما شاهدته لقراء جريدة «القدس العربي» الاعزاء والى اجيالنا الجديدة لكي تتبين كيف يكتب تاريخ العراق وقادته هذه الايام.

في احدى ليالي تشرين الثاني (نوفمبر) 1971 كنت اقود سيارتي وبصحبتي حازم جواد الشخصية الوطنية والقومية المعروفة لايصاله الى داره الكائنة في المنصور، وعند وصولنا لفت انتباهنا ان الدار كانت مضاءة بأكملها بدءا من الباب الخارجي والحديقة الامامية الى بهو الدار وغرف النوم وكانت الستائر مفتوحة، فتوجسنا شرا نظرا لظروف البلد الداخلية انذاك. ودخلت الدار مع حازم للاستطلاع ولم يكن هناك احد والساعة كانت تقارب العاشرة مساء على ما اتذكر. لكن الاستاذ حازم جواد انتبه الى ورقة كبيرة معلقة فوق التليفون في بهو الدار «الهول» كتبتها شقيقته وتخبره فيها ان لا يقلق عليهم فهم جميعا في دار الخالة ام فؤاد بعد ان استلمت العائلة جثمان الشهيد فؤاد مساء ذلك اليوم، وان على حازم ان يكون حذرا. ظن الاستاذ حازم ان المرحوم فؤاد قد توفي لاسباب طبيعية وتألم لذلك كثيرا فقد كان من المقرر ان ينهي المرحوم فؤاد مدة محكوميته الصورية خلال الايام او الاسابيع القادمة.

توجهنا بسيارتي صوب دار المرحوم فؤاد في بغداد الجديدة وسمعنا عويل النساء ونحن ما نزال في الشارع وتصاعد ذلك العويل عندما علمت النسوة بمقدم الاخ حازم وسؤاله من بعض الشبان الثلاثة المتواجدين تلك الساعة عما جرى للمرحوم فؤاد. كان صراخ النسوة يتعالى بطلب الثأر والانتقام من البكر وصدام بالذات، سأل حازم عن الجثمان فأخبره احد الشباب انه مسجى في غرفة الطعام وانه قضى مقتولا وليس لاسباب طبيعية وكانت هذه هي الصدمة الثانية التي نتلقاها تلك الليلة المشؤومة.

ما زلت اذكر منظر الاستاذ الشهيد وهو مسجى على ظهره عاريا على طاولة الطعام واثار الذبح واضحة جلية على رقبته. تصور حازم ان السلطة ربما استدعت المرحوم من السجن للتحقيق معه مرة اخرى قبل اطلاق سراحه وانه توفي في احد مقرات التحقيق نتيجة للتعذيب فطلب مني امام الحاضرين ان اقوم بفحص جثة المرحوم ومعرفة ان كان هناك اثر للتعذيب عدا «الرقبة المذبوحة». استجابة لرجاء الاخ حازم قمت بهذه المهمة العسيرة علي والتي لم يسبق ان قمت بمثلها لا قبل ذلك اليوم ولا بعده ولم الاحظ اي اثر يذكر للعنف او الشدة في جميع اجزاء الجسد الطاهر.

ظن الشباب الواقفون اني طبيب اصطحبني الاخ حازم لغرض فحص الجثمان فأخذوا ينادونني بلقب «الدكتور» مع انني لم اكن كذلك.

وضح الان ان السلطة قامت باغتيال الشهيد قبل اطلاق سراحه للخلاص منه ولادامة اجواء الارهاب التي كانت سائدة في العراق انذاك. طلب حازم تغطية جثمان الفقيد كما طلب من الشبان الثلاثة او الاربعة المتواجدين وعلمت منهم انهم ابناء شقيقة الفقيد ان يخبروا من يستطيعون اعلامه من اصدقاء الفقيد بواسطة التليفون والاشارة الى وفاته وليس اغتياله، كما طلب منع النسوة من استخدام التليفون وحدد الساعة الثامنة صباحا موعدا للتشييع. غادرنا بعد ذلك لايصال حازم الى داره بالمنصور وسألته متى تريدني صباحا لكي ارافقه لمراسم التشييع، رفض الاخ حازم حضوري ليجنبني اي اذى محتمل من قبل السلطة خاصة أنني لا اتعاطى العمل السياسي وقال حازم انه لا يستطيع التنبؤ بردود افعال السلطة يوم التشييع.

اشرف الاستاذ حازم على مراسيم التشييع والدفن وتنظيم وحضور مجلس الفاتحة للرجال والنساء وزيارة الاربعين. وزرته بعد ايام في داره بعد تعرضه الى نزيف داخلي حاد في المعدة وكان في حال لا يحسد عليها ومتألما من عقوق وجحود الناس حيث اخبرني ـ وقد شاع ذلك ـ ان اثنين فقط من خارج العائلة حضرا مراسيم التشييع احدهما صديق مشترك للمرحوم ولحازم واخوته والاخر مناصر سياسي للاستاذ فؤاد وان الحمالين هم الذين حملوا نعش فؤاد من السيارة الى مقام الامام علي (ع) للصلاة عليه ومن المقام الى المقبرة لدفنه. وتكررت قلة عدد الحضور في مجلس الفاتحة ايضا. وكما ذكرت في المقدمة فانني بذكري لهذه التفاصيل لا ابغي غير ذكر الحقيقة والحقيقة وحدها عن احداث تلك الليلة الرهيبة واجواء الارهاب السائدة، فالحديث عن تلك الايام اصبح الان مثل شربة الماء عند البعض هذه الايام وتنطبق اهزوجة العشائر العربية العراقية على تلك الظروف والاحداث «يردس حيل.. ال ما شايفها». فاجواء تلك الليلة السوداء وما اعقبها حالت حتى دون تقديم واجبات العزاء من قبل بعض اقارب الفقيد العزيز من الدرجة الاولى والثانية واتحرج الان من ذكر الاسماء ولم يكن ذلك سرا في تلك الايام.

لقد قمت بذلك الواجب تلك الليلة اكراما لمكانة الاستاذ الركابي في الوسط الوطني والقومي وتضامنا مع الصديق حازم جواد في محنته. لقد نوه الاخ حازم بما حدث تلك الليلة في سلسلة «حازم جواد... يتذكر» المنشورة في جريدة «الحياة» قبل عامين. وكنا نعود الى تلك الذكرى الاليمة عند لقاءاتي المتعددة بالسيد عبد الله الركابي وهو قريب للشهيد في دار الاستاذ حازم جواد في لندن اثناء زيارتي للمملكة المتحدة.

رحم الله الاستاذ فؤاد الركابي واسكنه فسيح جناته. وعظم الله اجور شهداء العراق جميعا والامة العربية، ولا حول ولا قوة الا بالله.

* عراقي يقيم في دبي - الإمارات العربية المتحدة.